

تصدير

يتناول هذا الكتاب عددا من المشكلات المنهجية الأساسية التي تعرض للباحث فى علم النفس العيادى ، وهى جميعا مشكلات لا يرد ذكرها كثيرا فى مراجع المناهج التى اعتاد الباحثون الرجوع إليها .

ويضم الكتاب ستة فصول ، بالإضافة إلى ملحق نناقش فيه مسألة بالغة الأهمية ، هى المسؤولية الأخلاقية الملقاة على عاتق العلماء فى دول العالم الثالث .

وقد أفردنا الفصل الأول لإلقاء الضوء على عدد من العمليات العقلية الرئيسية التى يقوم بها أى ممارس للبحث العلمى ، وهى عمليات قلما يناقشها الباحثون صراحة ، ومن ثم فهم قلما يلتفتون إلى ما قد يتخللها من ثغرات أو نقاط ضعف ، حتى يمكنهم أن يتصدوا عن وعى إلى تصحيحها وشحذها والارتقاء بها .

وأفردنا الفصل الثانى لمناقشة الجدارة العلمية لدراسة الحالة الفردية كطريق إلى استخلاص التعميمات الإكلينيكية ، وفى هذا الصدد عرضنا لتاريخ الاعتماد على دراسة الحالة الفردية على امتداد تاريخ علم النفس الأكاديمى منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ثم ما كان من تراجع لهذا الاعتماد مع زيادة التوجه إلى الاعتماد على دراسة المجموعات فى بداية القرن العشرين ودخول علم الإحصاء فى الصورة ، ثم ما كان من مراجعة لهذا التوجه أدت فى نهاية الأمر (فى أواخر القرن العشرين) إلى إعادة الاعتبار لمنحى الاعتماد على دراسة الفرد ، مع تطوير هذه الدراسة بما يزيد من حظها من الموضوعية .

وكرسنا الفصل الثالث لتقديم التناول الإيديولوجى (أو الوبائى) للبحث فى الظواهر النفسية العيادية ، وهو تناول لم ينل من علماء النفس المعاصرين ما يستحقه من عناية . وقد تحدثنا فى هذا الفصل عن الأنواع المختلفة للدراسات الوبائية ، وعن عدد من مشكلاتها تفصيلا .

أما الفصلان الرابع والخامس فقد جعلنا منهما امتدادين للفصل الرابع ، وكأن كلا منهما بيان عملي للكيفية التي يستفاد بها من المقاربة الوبائية فى واحد من أهم الميادين البحثية فى علم النفس العيادى ، نعى ميدان دراسة تعاطى المخدرات ، وتقييم قدرة بعض هذه المواد على استثارة الاعتماد أو الإدمان .

بعد ذلك عاجلنا فى الفصل السادس مشكلات التنظير فى البحث العلمى عموما وفى البحوث الوبائية بوجه خاص ، وهذه مشكلة يندر أن تتناولها كتب المناهج تناولاً مباشراً يسمح للدارس أن يعى أساسياتها وأن يتلمذ على خطواتها الكبرى ؛ وهو ما دفعنا إلى الحرص على أن نناقش الأمر مناقشة تسمح للدارس بأن يشق طريقه فى هذا السبيل مستعينا بنوع من التدريب الذاتى ، وحرصنا كذلك على أن نوضح بما لا يدع مجالا للشك فى أن عملية التنظير قابلة للتعلم ، وفى هذا الصدد قدمنا بعض الهاديات .

وبعد انتهائنا من عرض الفصول الستة للكتاب ، ألحقنا به ملحقاً بعنوان « الدلالة الأخلاقية لكفاءة العلماء فى دول العالم الثالث » . وفى هذا الملحق حاولنا أن نبه القارئ / الدارس إلى أن الباحثين عموماً ملتزمون أمام مجتمعاتهم التزاماً أخلاقياً بأن يبلغوا بمستوى كفاءتهم العلمية مرتبة عالية ، وأن وزن هذا الالتزام يصبح أضعافاً مضاعفة فى حالة العلماء فى دول العالم الثالث . وقد ناقشنا هذه القضية مناقشة تفصيلية فى جوانبها المتعددة .

وفى جميع فصول الكتاب ، إضافة إلى الملحق كذلك ، حرصنا ونحن نقدم معظم القضايا المنهجية على أن نقدم الأمثلة الشارحة من واقع بحوثنا المصرية ، ولا يعنى ذلك أننا أغفلنا إغفالاً تاماً ذكر نماذج من دراسات أجنبية ، ولكن الغلبة فيما قدمناه كانت للبحوث المصرية ، آمليين أن يكون لصداها فى النفوس مزيداً من التفعيل .

وقفنا الله ، والدارسين / القراء معنا ، فيما نحن بسبيله

مصطفى سويف

القاهرة ، فى يوليو ٢٠٠٥